الوثيقة
دورية تاريخية محكمة
يصدرها
مركز الوثائق التاريخية
بدولة البحرين
العدد الثالث عشر ، السنة السابعة
ذو القعدة ١٤٠٨هـ - يوليو ١٩٨٨م

١٨٩٧/٩٦ ، ٢٣٨٧١٩٥ روبية .
وعندما نظمت حملات التفتيش والمصادرة في كل من بوشهر ومسقط والبحرين تم مصادرة ١٦,٠٠٠ بندقية وحوالي مليونين ونصف مليون طلقة من الذخائر .

وأصدر سلطان مسقط مرسوما في ١٣ يناير ١٨٩٨ يعطي حقا للسفن البريطانية ان تصادر شحنات السفن المكونة من الاسلحة اذا رأت انها موجهة الى الهند أو ايران على شرط ان يتم العثور عليها داخل مسافة ٣ كيلومترات من ميناء مسقط .

وطبقا لهذا المرسوم صادرت البحرية البريطانية شحنة اسلحة في ميناء مسقط في ديسمبر ١٨٩٨ وطبقا لمستندات السفينة كانت الشحنة موجهة لبوشهر عن طريق البحرين مع ذكر ميناء مسقط كميناء اختياري للزيارة . واكتشف فيما بعد أن الشحنة في الحقيقة كانت موجهة الى مسقط .

وقد رفعت الدعوى امام المحكمة في لندن ضد مصادرة الشحنة . وأثارت المحكمة عدة نقاط :

١ ـ هل يعتبر المرسوم السلطاني لمسقط قانونا لدولة ذات سيادة يجب العمل به ؟
٢ ـ هل يمكن لقائد بريطاني بحري ان يعتمد على هذا المرسوم لعملية المصادرة ؟ هل يتمشى هذا القانون مع القانون البريطاني ؟
٣ ـ هل اقتصرت عملية المصادرة على البضائع الممنوعة فقط أو شملت اشياء اخرى ؟
٤ ـ اذا قضت محكمة في مسقط في القضية هل يكون للحكم ثقل قانوني ؟
٥ ـ هل يكون لحكم محكمة مسقط الذي صدر بعد الحادث ثقل قانوني ؟
٦ ـ هل يكون المدعي ملزما بحكم محكمة مسقط ؟

وهكذا قضت المحكمة في لندن بالآتي :

١ ـ يتمتع سلطان مسقط بصلاحيات كاملة ليشرح القانون .
٢ ـ ان القائد البريطاني البحري على حق في الاعتماد على المرسوم السلطاني .
٣ ـ وجدت المحكمة البريطانية بأنه تمت مصادرة اشياء اخرى بالاضافة الى الاشياء المحرمة .
٤ ـ اذا حكمت المحكمة في مسقط في القضية كانت على حق فيه .
٥ ـ يكون لأي حكم يصدر من المحاكم المسقطية في هذا الشأن ثقل قانوني .
٦ ـ يطبق الحكم على المدعى على اساس ان المدعي كان عنده فرصة المرافعة امام القضاء في مسقط لكنه لم يمارس هذا الحق على الرغم من انه كان على المام بما يدور حوله بشأن القضية(١٤) .

الهوامش

١ ـ سجلات الخليج ـ توسون ـ ائى او آر لندن ١٩٧٩ ص ١.
٢ ـ آ ئي او ار جي ٢٩/٢٥ من رسالة المقيم لوفيت المؤرخة ١٨٠٣ ـ ١٨٠٤ .
٣ ـ المصدر السابق لوفيت.
٤ ـ توسون ـ المصدر السابق .
٥ ـ آ ئي او آر ـ سي او ٢٥/٧٣٢ رقم ١٩٢٧/٣٠٦ ، ١٠ سبتمبر ١٩٢٧ رسالة من الكولونيل هاورث المقيم في بوشهر الى خارجية حكومة الهند .
٦ ـ توسون ـ المصدر السابق..
٧ ـ التطور السياسي والاقتصادي في الدول الخليجية سيف الوادي رماحي ، نيويورك ١٩٧٣ .
٨ ـ اف او ٣١٣/٣٧١ ، نوفمبر ١٩٠٧ .
٩ ـ الحماية والسياسة في البحرين ١٨٦٩ ـ ١٩١٥ ـ طلال توفيق فرح ، جامعة بيروت الامريكية ص : ٩١ ـ ٩٢ .
١٠ـ ال بي اس/٢٠/سي ٢٤٦ ص : ١ ـ ١٣ .
١١ـ نفس المصدر السابق ص ٤ ، ٥ .
١٢ـ اف او ٣١٣/٣٧١ ، ٢٧ نوفمبر ١٩٠٧ .
١٣ـ ال بي اس/ ٢٠/ سي ٢٤٦ .
١٤ـ اف او ٦٠/٦٦٠، ٦٧٠ ، ١٨٩٨ .

الصراع العُماني

بدأ الغزو البرتغالي للبحار العربية في الشرق بعد وقت قصير من اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح وايجاد صلة مباشرة بين المحيط الهندي واوربا، في اعقاب رحلة فاسكوديكاما الشهيرة في ١٤٩٧ ـ ١٤٩٨. وتركزت المراحل الاولى للغزو، في إخضاع موانيء شرق افريقيا، وانشاء قاعدة قوية على الساحل الغربي للهند. وشهدت سنوات ١٥٠٢ ـ ١٥٠٧، اخضاع كلوة وزنجبار وسوفالة وممباسا، والتقدم الى الموانيء الشمالية: لامو واوجا وبراوة [١]. وبحلول سنة ١٥٠٩، أي بعد مرور حوالى عشر سنوات على دخول البرتغاليين الى المحيط الهندي، تم اخضاع ساحل شرق افريقيا، وايقاع الدمار بالمستوطنات العربية الممتدة من سوفالة في الجنوب، الى براوة في الشمال، مع جزر زنجبار وبمبا ومافيا. وبنجاح البرتغاليين في ايقاع هزيمة كبرى باسطول المماليك في معركة ديو [٢]، تمكنوا من تأسيس قاعدة قوية في غوا، على

البرتغاليون

خلال القرن السابع عشر

الدكتور صالح محمد العابد

الساحل الغربي للهند في ١٥١٠ أصبحت مركز ممتلكاتهم في آسيا واندفع البرتغاليون اكثر نحو الشرق، الى جزر التوابل (اندونسيا) والملايو واستولوا على مالقا[٣] في ١٥١٣[٤]. وكان الهدف الاستراتيجي للبرتغال التحكم المطلق بالتجارة الشرقية عن طريق السيطرة على مخارجها التقليدية، ومن ثم محق اقتصاديات العالم الاسلامي المهيمن على هذه التجارة. وهذا يفسر عدم اكتفاء البرتغاليين بالتحكم بالنقاط الاستراتيجية لممرات هذه التجارة، وتبنيهم اسلوب القرصنة والهجمات في البحار العالية ومحاصرة الموانىء لمنع السفن الاسلامية من ممارسة اى نشاط ملاحي او تجارى [٥]. ويتبع ذلك، تأسيس امبراطورية استعمارية تضم شرق افريقيا والهند والخليج العربي والساحل الجنوبي للجزيرة العربية، في المرحلة الاولى، تعقبها مراحل اخرى، باحتلال عدن واختراق البحر الاحمر والتحكم بساحليه [٦].

ويعود الفضل فى تنفيذ ذلك المخطط الى الكابتن افونسو البوكيرك[٧] الذى اخذ على عاتقه بناء امبراطورية قائمة على اساس متين لا يمكن تحديه فى المحيط الهندى. فكان احتلاله لجزيرة سوقطرا فى ١٥٠٧، ودخوله الخليج العربي بعدها مباشرة للاستيلاء على موانئه المهمة تطبيقا عمليا للسياسة التى رسمتها البرتغال. وبالسيطرة على سوقطرا والهيمنة على هرمز ومالقا، ثم تأسيس نظام للتحكم يستمد بقاءه وقوته من استمرار تفوق البحرية البرتغالية وعدم تعرضها لاى ضعف طارىء[٨].

اتسمت عمليات البوكيرك فى خليج عمان والخليج العربي باقصى درجات الوحشية والحقد والتدمير، واسفر عنها احتلال معظم موانىء الساحل العمانى من رأس الحد الى خورفكان [٩]، ثم اجبار هرمز [١٠]، على الخضوع. واقتضى الامر حملة برتغالية كبرى اخرى بقيادة البوكيرك لتثبيت احتلال هرمز فى ١٥١٥ التى اصبحت الى جانب مسقط والبحرين، قواعد الارتكاز البرتغالية الرئيسه فى الخليج العربي. ولحقبة تزيد على القرن، عانى سكان الخليج العربي مرارة الاضطهاد الشرس من جانب البرتغاليين الذين جعلوا انفسهم سادة الموانىء الرئيسه على جانبي الخليج، واستخدموا مركزهم، بقدر امكانهم، لمنع اية سفينة اخرى من التجارة. فكانت سفنهم تسيطر على مياهه، وحكامهم ينظمون تجارته باجازات تصدر منهم، والقلعة العظيمة فى هرمز تتحكم بمدخله ولم تتمكن اى من دول المنطقة ان تكسر القبضة البرتغالية لانه لم يكن بمقدور احداها تحدى البرتغاليين فى البحر [١١]. كما لم تؤد الثورات التى قام بها العرب فى الموانىء المختلفة الى زعزعة تلك السيطرة [١٢].

تعرضت الهيمنة البرتغالية الى الاهتزاز منذ اوائل القرن السابع عشر بتأثير عوامل متشابكة، منها اتحاد العرشين الاسبانى والبرتغالي سنة ١٥٨٠[١٣]، فاصبحت البرتغال تابعة لاسبانيا حتى عام ١٦٤٠، عندما استعادت استقلالها، اذ توجه اهتمام أسبانيا على نحو بين تجاه مستعمراتها فى العالم الجديد [١٤]. ومنها تعصب البرتغاليين وقسوتهم، الى جانب ما اتصف به حكامهم وموظفوهم من جشع وفساد مما جعل سكان الخليج يمقتونهم[١٥]. هذا، بالاضافة الى ظهور قوى اوروبية اخرى منافسة لهم ولاسيما الانجليز والهولنديون [١٦]. ولكن اهم عوامل تفكك وانهيار السيطرة البرتغالية فى رأيي هو تنامى قوة العرب العمانيين فى عهد سلالة اليعاربة التى قدر لها ان تحسم الصراع لصالح العرب، وتقضى

على الامبراطورية البرتغالية لا فى الخليج العربي وحسب، وانما فى غرب المحيط الهندي كذلك.

شكل انتخاب ناصر بن مرشد اليعربي اماما فى نهاية ١٦٢٤ منعطف تحول مهما فى تاريخ عمان، دخلت فيه عصرا جديدا مجيدا «والامبراطورية البحرية التى سيبنيها اليعاربه ستكون ندا للقوى الاوروبية، وبفضل ثروتها اصبحت عمان من جديد قرابة قرن قطرا مزدهرا» [١٧]. وكان تحرير سواحل عمان من الهيمنة البرتغالية، هدفا مركزيا للامام ناصر لان ترصين الامامة وثباتها لا يمكن ان يتحقق دون تحرير الموانىء، فاذا لم يتم التحكم بها، والحصول على الدخل الذى تقدمه، فان ذلك سيؤدى الى نتائج وخيمة[١٨] ولكن الامام كان يدرك ان تحقيق ذلك الهدف لن يتم بدون وحدة وطنية تجمع ما بين القبائل العمانية كافة، وان ذلك الهدف سيكون له، دون شك دور حاسم فى قوة القبائل وتلاحمها. ولهذا فما ان تحقق له توحيد البلاد [١٩] حتى وجه القائد مسعود بن رمضان على رأس جيش كبير، فى نهاية ١٦٣٢ الى قاعدة الوجود البرتغالى فى مسقط [٢٠]. التقى الجيش العمانى بالقوات البرتغالية فى الدويج، قرب مطرح، وفى القتال الذى تلا ذلك، تم تدمير حصون المراقبة المشرفة على مسقط، وقتل عدد كبير من البرتغاليين، وهرب الباقون الى الحصون الداخلية، ولم يكن بمقدور القائد العمانى ان يحقق نتيجة حاسمة، بسبب الضعف الذى اصاب قواته، وقوة تحصينات مسقط، ولهذا وافق على طلب الهدنة الذى تقدم به القائد البرتغالى، متعهدا بعدم التعرض للعمانيين، ومن ثم، لم تسفر الحملة عن نتيجة حاسمة [٢١]. ولهذا وضع الامام خطة بعيدة المدى تستند الى تجريد البرتغاليين من قواعدهم على طول الساحل، قبل شن الهجوم الكبير على قاعدة ارتكازهم الرئيسية في مسقط فوجه اهتمامه اولا الى تحرير جلفار (رأس الخيمة) من السيطرة البرتغالية ـ الفارسية المتمثلة بقلعتين احداهما برتغالية، تعززها عند الساحل سفينتان حربيتان، اما الاخرى ففارسية يقود حاميتها المدعو ناصر الدين.

تقدم جيش الامام يقوده على بن احمد، يساعده عدد من قادة اليعاربة، فحاصر القلعة الفارسية. وكانت الحامية تتلقى الدعم من السفينتين الحربيتين البرتغاليتين، ولهذا فقد كان من المتعذر شن هجوم مباشر. ودفع هذا بالقائد العمانى الى ان يأمر بالهجوم ليلا على برج مرتبط بالقلعة وتمكنت القوة المهاجمة من الاستيلاء على البرج، واندفعت مقتحمة القلعة، وبعد قتال لم يستغرق طويلا

استسلمت الحامية الفارسية[٢٢] وفى خلال ذلك، وصلت تعزيزات عسكرية جديدة لقوات الامام، تتألف من قوة من قبيلة الدهامش يقودها خميس بن رمضان. فاحكم حصار القلعة البرتغالية، التى اضطر قائدها الى طلب الصلح مقابل اخلاء القلعة وبذلك، تم تحرير ساحل السر باكملة فى تموز ١٦٣٣[٢٣]. وقد دفع اندحار الفرس وطردهم من جلفار الى لجوئهم للانجليز طلبا للمساعدة، ولكن المشروع فشل حينما اعدم الشاه صفي حاكم شيراز فى العام نفسه[٢٤].

شجع هذا الانتصار الامام على مواصلة الجهاد لتحرير صحار. ففى السنة نفسها، اصدر امره الى والي ليوا، حافظ بن سيف، لحشد قوة لهذا الغرض وتقدمت القوة الى صحار حيث واجهت مقاومة ضارية من البرتغاليين الذين تحصنوا داخل قلعتها القوية.. ومن اجل احكام الحصار على المدافعين، بنى القائد العمانى قلعة قريبة من القلعة البرتغالية[٢٥]. وتم التوصل الى هدنة وافق البرتغاليون بموجبها على وقف القتال وتسليم مراكزهم المحصنة فى مطرح والسماح للعمانيين بالتجارة الحرة من مسقط[٢٦].

وباشر الامام فى مطلع السنة التالية ١٦٣٤، عملياته لتحرير مينائى صور وقريات، وتمكن من تخليصهما من قبضة البرتغاليين[٢٧].

وهكذا، خلال عشر سنوات من وصوله الى الإمامة تمكن ناصر بن مرشد من طرد الغزاة من الساحل العمانى كله عدا نقطتين فقط، أدت هجماته المتواصلة على المراكز البرتغالية الى تدهور معنوى كبير فى نفوس البرتغاليين كان بالامكان استغلاله بمواصلة الضغط على بقية قواعد ارتكازهم فى الساحل ولا سيما مسقط. إلا أن تطور الأوضاع الداخلية، عرقل خطة الامام، وأجبره على توجيه اهتمامه للقضاء على حركة التمرد التى قادها شيخ بنى هلال ناصر بن قطن، تعاونه بعض القبائل. ووقعت سلسلة من المعارك بين الطرفين استغرقت بضع سنين، استغلها البرتغاليون فأعادوا سيطرتهم على صور وقريات. وتمكن الامام بعد جهود مضنية أن يقضى على التمرد، وفر ناصر بن قطن الى الاحساء[٢٨]، وبذل البرتغاليون جهودهم لتشجيع الانشقاقات الداخلية، ففى ١٦٤٣ دعموا حركة تمرد قام بها الشيخ سيف بن محمد حاكم ليوا وساعدوه بقوة عسكرية، ولكن الامام سارع على رأس قوته فسحق التمرد، وأوقع هزيمة منكرةبالقوة البرتغالية وأسر أفرادها كافة. واتبع ذلك بتطويق الحامية البرتغالية فى صحار. وبعد مقاومة غير مجدية أمام إصرار القوات العمانية

التى يقودها الامام بنفسه، استسلمت الحامية فى ٧ تشرين الثانى ١٦٤٣ [٢٩]. ففتح ذلك الطريق الى طرد البرتغاليين من السواحل العمانية .

وشهدت سنة ١٦٤٨ بداية المرحلة الحاسمة فى حرب التحرير، وتتويجا للخطة الأولى بانتزاع قاعدة الارتكاز البرتغالية فى مسقط ، تحرك جيش كبير بقيادة مسعود بن رمضان الى الهدف. ووصل هذا الجيش الى مسقط فى ١٦ آب، وباشر بعملية التطويق وتواصل القتال حتى ١١ أيلول، ونجح العرب خلاله من انتزاع معظم تحصينات الميناء، مما أجبر الحامية البرتغالية على طلب الصلح، وتضمنت الشروط التى عرضها القائد العربى : استلام قلعتى صور وقريات، اعفاء العرب من دفع الضرائب على البضائع فى مسقط التى يجب إزالة أسوارها، أن يدفع البرتغاليون جزية الى الامام [٣٠]. وعد القائد البرتغالى دوم جولياودانورنها (Dom Juliao da Noronha) هذه الشروط ثقيلة جدا، ولهذا استؤنف القتال وتمكنت القوات العربية من الاستيلاء على المرتفعات المشرفة على القلعتين الكبيرتين. فورت كابتن ومكلا، واستمر الضغط بإصرار متزايد على البرتغاليين ستة أسابيع أخرى، مما ولد اليأس فى نفوسهم. ووجد دانورنها نفسه مجبرا على التماس الصلح مجددا موافقا على الشروط العربية، وتم توقيع اتفاقية فى ٣١ تشرين الأول ١٦٤٨ تضمنت : تدمير قلاع صور وقريات، إزالة القلعتين البرتغالية والعربية فى مطرح، وانسحاب القوات المتحاربة منهما، واعلان حيادهما، اعفاء العرب من دفع الضرائب وضمان حرية التجارة، امتناع البرتغاليين عن اقامة تحصينات خارج مسقط[٣١] ويمكننا القول أن هذه الاتفاقية حددت بداية النهاية للوجود البرتغالي فى مسقط ولم يعد الأمر يتطلب إلا محاولة موحدة وقوية لتأمين طردهم منها .

أثارت أنباء الحصار العربى للحامية البرتغالية قلقا كبيرا فى الأوساط البرتغالية فى كل من مستعمرتها فى الهند، وفى العاصمة لشبونة، وسارع نائب الملك فى الهند الدوم فيلبي ماسكارنياس (Mas-carenhas) الى إرسال جزء من الأسطول لنجدة الحامية ووصل الأسطول الى مسقط فى منتصف تشرين الثانى ١٦٤٨ ليفاجأ بالتسوية التى تمت بين قائد الحامية والقيادة العربية وتغلبت روح العنجهية الاستعمارية على قائد الأسطول، فوجه الاتهام الى دوم جولياو لعدم صموده أمام الحصار العربى، وأرسله الى غوا حيث ألقى فى السجن[٣٢]. وحينما وصل نبأ حصار مسقط الى لشبونه، أرسل الملك دوم جوا الرابع (Dom Joao) أوامره فى ٤ كانون الثانى طالبا بذل كل جهد من أجل التمسك بمسقط، وزيادة عدد

السفن الحربية فى الميناء، ومنع العرب من البقاء فى المدينة وتقوية حصن خصب [٣٣]. ولكن فى الوقت الذى وصلت فيه تلك الأوامر الى غوا، كان الأمر قد خرج عن إرادة القادة البرتغاليين، وكان العلم العمانى يرتفع بشموخ على طول الساحل المحرر.

توفى الامام ناصر بن مرشد فى ١٠ ربيع الاخر ١٠٥٩ هـ/٢٣ نيسان ١٦٤٩، بعد أن حقق الاستقرار وعمق الوحدة الوطنية وأنجز المرحلة الأصعب من مراحل طرد الغزاة. ومع أنه توفى بدون أن يعين خليفة له، فان القضاة وكبار الشيوخ الذين اجتمعوا فى الرستاق يوم وفاته، اجمعوا على انتخاب ابن عمه وقائده العسكرى سلطان بن سيف اماما. وأيدت القبائل كافة هذا الاختيار. وشهد عهد الامام الجديد المرحلة الأخيرة من عملية التحرير وطرد الغزاة نهائيا من البلاد. فما أن أعلنت بيعته بالامامة، حتى تقدم بنفسه لقيادة العمليات الحربية التى تكللت بنهاية مجيدة خلال تسعة أشهر [٣٤]. وسارعت القبائل بابتهاج مستجيبة لدعوة الامام بحمل السلاح واحتشدت فى (سيح الرمل) خارج مطرح [٣٥] وكانت سنة ١٦٤٩ تقترب من نهايتها حينما تحرك سلطان بن سيف ليباشر العملية الحاسمة التى خطط لها لاستئصال الوجود البرتغالى الذى هيمن على الموانىء المهمة من ساحل عمان، متحديا مشاعر السكان مدة مائة وأربعين عاما.

فى مطلع سنة ١٦٥٠ قامت قوة فدائية صغيرة بهجوم ليلى مباغت فعبرت السور واندفعت الى شوارع مسقط مجندلة كل من وقف أمامها من الغزاة. وأصيب البرتغاليون بانهيار معنوى تام، فتدافعوا الى السفن الراسية فى الميناء والى المركز (مخزن السلاح والذخيرة) طلبا للنجاة. واندفع العرب نحو أعدائهم ونجحوا فى الاستيلاء على سفينتين واحاطوا بالمركز. ولم يتمكن المدافعون وعلى رأسهم الحاكم العام فرانسسكو دى تافونا من الصمود طويلا، فانسحبوا الى القلعة الحصينة (فورت كابتن ـ الجلالى) تاركين الحرس البلوش لمصيرهم. وفى يوم ٢٣ كانون الثانى استسلمت القلعة، وبعد ثلاثة أيام استسلم المركز [٣٦]. وتراجع الاسطول الذى يقوده براز كلدارا داماتوس الى ديو، بعد أن فقد اثنتين من سفنه. ونجد من المناسب ان نقتبس أقوال شاهد عيان لعملية الهجوم على مسقط أوردها مايلز [٣٧]:

«بلغت الحماسة لدى العرب درجة قصوى بحيث هددوا بالتمرد اذا لم يقدهم ضباطهم على الفور الى الهجوم على أسوار المدينة. وحينما لم يجد الملك (الامام) حجة يمكن أن تهدىء ثائرتهم على الرغم من اقتراب الليل، أصدر أمره بالهجوم وجوبه المهاجمون بنيران كثيفة أطلقها البرتغاليون عليهم من

قلاعهم على المرتفعات، ولكن العرب تقدموا الى الامام ولم يكن بحسبانهم أن يتراجعوا ولم يبالوا بالأعداد الكبيرة من رفاقهم الذين تساقطوا قتلى وواصلوا تسلق الأسوار على أشلاء من سقطوا. وعند غياب الشمس تمكنوا من السيطرة على بابين من أبواب المدينة، مجبرين المدافعين على الفرار واندفعوا خلف أعدائهم باصرار بحيث لم ينج منهم أحد بالرغم من فرارهم بأقصى سرعة باتجاه القلعة العظيمة حيث مقر الحاكم. وهذه القلعة مبنية على صخرة عظيمة تحيط بها المياه من كل جهاتها تقريبا، والطريق الوحيد المؤدى اليها لا يسمح لأكثر من شخصين أو ثلاثة بارتقائه سوية. وأدرك العرب أن اقتحامها أمر مستحيل بدون تضحية جسيمة،

ولهذا فرضوا عليها الحصار الكامل وخسر العرب فى الهجوم ما بين أربعة الى خمسة آلاف من رجالهم... وأجبروا المتحصنين فى الحصون الصغيرة على الاستسلام... ثم استسلم رجال الحصن بدون قيد أو شرط» .

وفى الوقت الذى تم فيه تحرير مسقط، نجحت قوة عمانية أخرى فى الاستيلاء على حصن خصب [٣٨]. وهكذا جاءت نهاية ورثة افونسو البوكيرك فى الخليج العربى .

ادرك الامام سلطان بن سيف ان معركة مسقط لن تكون نهاية الصراع مع البرتغال، ولهذا كان امتلاك قوة بحرية قوية موازية لقوة العدو امراً حاسما لتأمين السواحل من الهجمات التدميرية وصيانة تجارة البلاد من تعرضها للتخريب. وبعد ان نظم اوضاع مسقط، وعين عليها ابن بلعرب حاكما وامر بترميم اجزاء السور الذى تعرض للتخريب خلال المعارك، ركز اهتمامه على قوته البحرية. فالصراع مع العدو سيكون صراعا بحريا بالدرجة الاولى. ولتحقيق نتيجة حاسمة، كان على العمانيين تطوير بناء سفنهم، وتبني طراز جديد من السفن الحربية. وقد شكلت السفن البرتغالية التى اسرها العرب خلال معارك التحرير، نواة الاسطول الحديث[٣٩] . وخلال وقت قياسي، تحرر العمانيون من الاسلوب التقليدى فى بناء السفن ذات الهيكل الذى تشد الواحة بالحبال، واخذوا ببناء سفن على الطراز الاوروبى من ذوات الاشرعة المربعة المزودة بمدفعية حديثة . وحتى المراكب المبنية على الاسلوب القديم اخذت تبنى بالواح مثبتة بالمسامير[٤٠] . وتمكن أئمة اليعاربة المتعاقبون[٤١] وحتى عام ١٧١٨، من جعل عمان اعظم قوة بحرية غير اوروبية فى غرب المحيط الهندى، وبلغ اسطولهم اوج عظمته خلال العقدين الاول والثانى من القرن الثامن عشر .